



القرآن الكريم في نهج البلاغة



جمعية القرآن الكريم

الكتاب: القرآن الكريم في نهج البلاغة

إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد - لبنان

الطبعة الثانية: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م - بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة



القرآن الكريم
في نهج البلاغة



الإهداء

- . إلى أمير القلوب... أمير البلاغة والفصاحة.
- . إلى أمير المؤمنين... أبي الحسين ووصي سيد المرسلين.
- . إلى القرآن الناطق... إليك يا علي الدرّ والذهب المصفى.
- . وإليكم يا تراجمة الوحي، ويا أئمة الهدى.
- . نرفع هذا الجهد المتواضع وهذه البضاعة المزجّاة . فهي منكم وإليكم.
- . فتصدّقوا علينا . يا سادتنا وشفعائنا . وأوفوا لنا الكيل إن الله يجزي المتصدقين...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن الكريم في القرآن

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٢)

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٣)

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤)

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٥)

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٩.



باقة من الأحاديث الشريفة للنبي الأكرم ﷺ في شأن القرآن

- ١ - «أَصْدَقُ الْقَوْلِ، وَأَبْلَغُ الْمَوْعِظَةِ، وَأَحْسَنُ الْقَصَصِ كِتَابُ اللَّهِ»^(١).
- ٢ - «مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ رَجُلًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ صَغُرَ عَظِيمًا وَعَظَّمَ صَغِيرًا»^(٢).
- ٣ - «إِنْ أَرَدْتُمْ عَيْشَ السُّعْدَاءِ، وَمَوْتَ الشُّهَدَاءِ، وَالنَّجَاةَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ، وَالظُّلَّ يَوْمَ الْحَرُورِ، وَالْهُدَى يَوْمَ الضَّلَالَةِ، فَادْرُسُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ كَلَامُ الرَّحْمَنِ، وَحِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرَجْحَانٌ فِي الْمِيزَانِ»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج٧٤، ص١١٤.

(٢) سنن النبي الأكرم ﷺ: ج٢، ص١٨.

(٣) جامع الأخبار: ج٦، ص١٤.



باقة من أقوال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في شأن القرآن

- ١ - «اللَّهُ، اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»^(١).
- ٢ - «فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ»^(٢).
- ٣ - «حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَالِدِ، أَنْ يُحَسِّنَ إِسْمَهُ وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَيَعْلَمَهُ الْقُرْآنَ»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج٢، ٤٢، ص٢٥٦.

(٢) نهج السعادة: ج٩، ص٣٦٣.

(٣) ميزان الحكمة: ج٨، ص١٩٥.



باقة من أقوال سيدة نساء العالمين الزهراء البتول عليها السلام في شأن القرآن

«لِلَّهِ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ: كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ، بَيْنَهُ بَصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرَهُ، مُتَجَلِّيةٌ ظَوَاهِرَهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدَةٌ إِلَى الرِّضْوَانِ إِتِّبَاعُهُ، مُؤَدِّةٌ إِلَى النِّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ، بِهِ تُنَالُ حُجُجُ اللَّهِ الْمُنَوَّرَةِ، وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسِّرَةِ، وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةِ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَّةِ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَّةِ، وَفَضَائِلُهُ الْمَنْدُوبَةِ، وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةِ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةِ»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٣٢٢.



باقة من أقوال الإمام الخميني قُدِّسَ سَمِيُّهُ في شأن القرآن

- ١ - «لا يوجد أفضل من القرآن، ولا مدرسة أسمى من مدرسة القرآن، فالقرآن هو الوحيد الذي يوصلنا إلى الأهداف السامية».
- ٢ - «أمريكا ترى الإسلام والقرآن المجيد يجلبان لها الضرر، وهي تريد ازاحتها عن طريقها».
- ٣ - «القرآن يجعل العالم «نورٌ على نور» ونحن يجب أن نعي هذا المحيط من النور».



باقة من أقوال الإمام الخامنئي عليه السلام في شأن القرآن

- ١ - «ببركة القرآن الكريم، غيّر المسلمون التاريخ، وصنعوا تاريخ البشر».
- ٢ - «الأنس بالقرآن يُقوّي ويُعمّق المعرفة الإسلامية في أذهاننا».
- ٣ - «كُلُّ مَنْ تَعَرَّفَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ سَيُنْجَذِبُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ أَكْثَرٍ».



مما تحدّث به الإمام الخميني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن نهج البلاغة :

- نحن فخورون بأنّ كتاب نهج البلاغة - الذي يُعدُّ بعد القرآن الكريم أعظم نظام للحياة المادية والمعنوية، وأسمى كتاب لتحرير البشر، وأرقى منهج للنجاة يُضمُّ التعاليم المعنوية والحكمية، هو من إمامنا المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مما تحدّث به الإمام الخامنئي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن نهج البلاغة :

- كما أنّ القرآن يُقرأ، كذلك يجب أن يُقرأ كتابُ نهج البلاغة، لأنّه الكتاب الثاني بعده، وهو مكملٌ للقرآن الكريم.

هذا الكتاب:

الحمد لله رب العالمين، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى محمدًا ﷺ وآله الطاهرين...

وبعد...

- في أشهرٍ متطاولة - كانت النفسُ خلالها تُحلَّقُ وهي جذلى في عالمٍ حالمٍ من السمو والرفعة والجلال، تتفياً الظلالَ الوريضةً لنهجِ البلاغة، لسيد البلغاء ورائد الفصحاء وخير من نطق بالضاد، بعد سيد الخلق والعباد رسول الله ﷺ، أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين علي ﷺ.

- وفي هذا العالم الجمالي الحالم، كانت تلتهم وتبرق هنا وهناك خطب الإمام ﷺ في فضل القرآن الكريم، وتتناثر، كتناثر النجوم في كبد السماء في الليلة الظلماء، فيتألق الكون، ويزدهر الوجود، ويزهو العالم بكلام رب العالمين، فإذا هو نور على نور، نور علي، ونور القرآن حيث يهدي الله لنوره من يشاء.

نعم... كلام علي ﷺ عن القرآن وفي القرآن يستحق أن نقف عنده طويلاً، لنعرف أثر ذلك، في شخصية ربيب الوحي ﷺ واهتمامه به وشوقه له وشغفه به، وتأكيده عليه وتوصيته به، حتى وهو على مشارف رحيله عن هذه الدنيا، واستشهاده في سبيل الحق والقرآن والإسلام، حيث يوصي الحسنين ﷺ به ويقول: **«الله، الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم»**.

- ولا غرور في ذلك - فهو قد تربى في أحضان النبوة، وتسمَّ عبير الرسالة،

ونشأ في أفياء الملائكة، فكان بحق الترجمان الصادق، والقرآن الناطق لكتاب الله العزيز.

ونحن هنا في هذا الكتاب الذي أسميناه «القرآن الكريم في نهج البلاغة» قد جمعنا فيه خطب الإمام عليه السلام الخاصة بفضل القرآن، وقمنا - بتوفيق الله وعونه - بشرحها وإيضاحها وبيانها بأسلوب واضح، ومبسط في تقديرنا، وقد أعرضنا عن تكرار وشرح بعض الخطب المتشابهة نوعاً ما، أو التي لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح والشرح فهي واضحة بذاتها.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه الدراسة - في حدود علمنا - لم تكن مسبوقة من حيث الجمع والإعداد والتأليف، بهذا الشكل الموجود في هذا الكتاب - آمين بإخلاص - من أصحاب الاختصاص والباحثين، أن يتحفونا بأرائهم القيمة التي لها الدور الكبير في تطوير الأفكار، وتجديد المفاهيم، وتعزيز المعلومات، كما أننا لا ندعي الكمال في هذا الجهد المتواضع الذي نأمل أن يتقبله الله تعالى بقبوله الحسن، ويدخره لنا يوم الحسرة والفاقة والشفاعة وهو خير شفيح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلاماً على المرسلين محمد وآله الميامين.

جمعية القرآن الكريم

للتوجيه والإرشاد

الخطبة. ١.

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام:

موضوعها: «يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم، وفيها ذكر الحج وتحتوي على حمد الله، وخلق العالم، وخلق الملائكة، واختيار الأنبياء، ومبعث النبي، والقرآن، والأحكام الشرعية».

قال عليه السلام: «وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم؛ كتاب ربكم فيكم! مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه وخاصه وعمامه وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه، مفسراً مجمله، ومبيناً غوامضه. بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه، وواجب في السنة أخذه ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه، موسع في أقصاه».

الشرح

«خَلْفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهِمْ» يذكر الإمام عليه السلام أن النبي ﷺ قد خلف في أمته كما خلفت الأنبياء، حيث ترك لهم بعد وفاته القرآن الكريم الثقل الأكبر والعترة المطهرة الثقل الأصغر، وهي سنة كل الأنبياء فلم يتركوا أممهم ترعى كما ترعى الأنعام بلا وعي ولا بصيرة، وخاتم الأنبياء عليه السلام أودع في أمته خاتم الكتب السماوية وأوضح ميزات هذا الكتاب الخاتم «القرآن الكريم» ومن ميزات وصفاته أنه:

١ - «مُبِينًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ» في القرآن الحلال بيّن واضح، والحرام بيّن واضح كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١).

فالبيع حلال والربا حرام وغير ذلك مما هو في الكتاب مسطور.

٢ - «وَفَرَائِضُهُ وَفَضَائِلُهُ» المراد بالفرائض جميع الواجبات، والفضائل هي النوافل بل جميع المندوبات التي حث الشرع على الإتيان بها كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾^(٢).

فذكر الله على كل حال بعد قضاء الصلاة من المندوبات وإقامة الصلاة بعد الاطمئنان من الواجبات المفروضة على كل مكلف.

٣ - «وَنَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ» الناسخ هو الحكم الذي يرفع الحكم الثابت السابق، والحكم السابق المرفوع هو المنسوخ، ومثال الناسخ، قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣).

٤ - «وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمُهُ» العزائم عموم الأحكام الواجب الالتزام بتنفيذها وتطبيقها وعدم مخالفتها بأي حال كالاتقاد بالتوحيد والاقرار به مثال ذلك قوله تعالى:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(١).

والرخص هو جواز مخالفة الحكم الشرعي المفروض تركه في بعض الحالات الخاصة والاضطرارية التي يتعرض فيها الإنسان إلى الهلاك كما في أكل الميتة حال الجوع الشديد الذي يؤدي إلى موت الإنسان، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

٥. «وخاصه وعامه» الخاص ما يتعلق بفرد أو جماعة، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾^(٣)، أو كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤).

فالخاص في الآية الأولى يخص المرأة التي وهبت نفسها للنبي، وفي الثانية يخص الرجل الذي جاء من أقصى المدينة وأمر قومه باتباع هدى الأنبياء والمرسلين. أما العام فهو ما يعم الأفراد والجماعات والطوائف كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٥)، فهذا حكم عام لسائر المكلفين دون استثناء.

وهناك احتمال يقول بأن المراد من الخاص هو العموم الذي يراد به الخصوص أي أن ظاهره عام إلا أن مراده خاص كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦).

أو كما قال تعالى في آية أخرى يصف فيها تفضيل بني إسرائيل على أهل زمانهم بأشياء خاصة لهم: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَاءَ يَلْ أذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٧).

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

(٤) سورة يس، الآية: ٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

فهنا المعنى خاص حين قال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) العالمين هم أهل زمانهم وليس كل من أتوا من بعدهم لأن المعروف والوارد أن أمة محمد ﷺ هي أفضل الأمم وأحسنها وأكملها على الاطلاق كما هو وارد في كثير من الروايات عن النبي وأهل بيته الأطهار ﷺ.

٦. «وَعِبْرُهُ وَأَمثَالُهُ» العبر مفردتها عبرة كما قال أمير المؤمنين ﷺ في حكمه القصار «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار» والعبر ما يعتبر به الإنسان من القصص والأحوال التي مرت على غيره من الناس وفي القرآن الكريم من القصص الشيقة التي تحت الإنسان على الاعتبار بها والالتفات إلى معانيها وأهدافها ونتائجها كما في قصة يوسف ﷺ وإخوته، وقصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الفيل، وغيرها كثير حافل بها كتاب الله العظيم.

والأمثال كذلك، هناك مجاميع ضخمة منها يمكن للمرء أن يستفيد مما فيها من معانٍ هادفة تثري حياته وتمكنه من تحقيق ذاته والارتقاء بها إلى المستوى الذي يريده الله تعالى ليثيبه عليه ويرتفع به إلى الحياة الإنسانية السليمة الخالية من المنغصات المهلكة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(٢).
أو: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الصَّالَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٣).
أو: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٤). وغيرها في القرآن كثير...

٧. «وَمُرْسَلُهُ وَمَحْدُودُهُ» المقصود بالمرسل، المطلق. وبالمحدود المقيد. وقد ذكر ابن أبي حديد المعتزلي في تفسيره لنهج البلاغة، وقال سمي المقيد محدوداً وهي لفظة فصيحة جداً، ومثل المرسل في القرآن، قوله تعالى: ﴿فَتَحَرِّرْ رَقَبَةً﴾^(٥)

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٥.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٣.

فالرقبة هنا مطلقة غير مقيّدة بقيد الإيمان «رقبة مؤمنة».

٨ - «وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ» في القرآن الكريم آيات محكمة وآيات متشابهة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ﴾^(١).

وبحث المحكم والمتشابه من الأبحاث المهمة والطويلة والذي يحتاج إلى مجال أوسع مما نحن فيه في هذه الرسالة الموجزة، ولكن نقول بالاجمال أن المحكم ما وضحت دلالاته وعُرفت معانيه، والمتشابه خلاف ذلك، ومن الآيات المحكمة في الكتاب العزيز قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) أو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣).
ومن أمثلة المتشابه قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤).
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٥).
﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٦).

٩ - «مُفَسَّرًا مُجْمَلًا» فسّر الرسول الأكرم ﷺ بعض الأمور المجملة في القرآن والتي تحتاج إلى تفسير وتحليل ليعرف المسلم المكلف ما هو مطلوب منه، من أغراض الآيات وبعض تفصيلاتها كما هو الحال في إقامة الصلاة التي تتطلب إيضاحاً وتفسيراً أكثر مما هو موجود في الكتاب العزيز، فبين نبينا ﷺ أوقات الصلاة وخصوصياتها وشرائطها وكيفيةاتها كما يعرف المسلمون كافة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٥) سورة طه، الآية: ٥.

(٦) سورة القيامة، الآية: ٢٣.

١٠. «وَمُبِينًا غَوَامِضَهُ» كما بيّن ﷺ ما يحتاج إلى تبیین من آیات القرآن الكريم لإزالة الغموض وكشف ما يصعب على الإنسان ادراكه وفهمه، ومن ثمّ استيعابه والعمل به.

وقد أشار الإمام ﷺ أنّ هناك أموراً ذكرت في القرآن الكريم وبيّنها النبي الأكرم ﷺ فكانت على أقسام متعددة، منها:

أولاً: «بَيْنَ مَاخُودِ مِيثَاقِ عِلْمِهِ» أخذ الله تعالى العهد والميثاق على عباده أن يوحدوه ويعرفوه ويطيعوه حق طاعته - ولا عذر لهم في ذلك - فالقرآن صريح كل الصراحة في هذا الأمر حيث يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾ (١).

ثانياً: «وَمَوْسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جِهْلِهِ» ومن باب التوسعة على عبادة الله وطاعته، وترك الأمور التفصيلية التي تحتاج إلى البحث والتحقيق والعلم الوافر والاطلاع الواسع، لأهل العلم والراسخين فيه.

ثالثاً: «وَبَيِّنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ» وقد ذكر الشارح العلامة «ميرزا الخوئي» في إيضاح هذين النصين صراحة وقوع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة، ويشهد بوقوعه قوله تعالى:

﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاستَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَازُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۗ﴾ (٢).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة النساء، الآيات: ١٥-١٦.

فمفاد الآية الأولى حبس الفواحش من النساء في البيوت إلى حين الممات، ومفاد الثانية وجوب إيذاء الآتين للفاحشة، ثم نسخ ذلك أي الحبس والأيذاء بالجلد الثابت لغير المحصن والمحصنة بالكتاب أعني قوله:

﴿الرَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(١).

وبالرجم الثابت لهما بالسنة النبوية.

رابعاً: «وَوَاجِبٌ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرْخَصٌ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ» هذان القولان عكس سابقيهما تماماً، حيث المقصود هو نسخ السنة النبوية الشريفة بالقرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك - أن مباشرة النساء في الليل كانت محرمة على الصائمين بالسنة، وقد نسخ بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٢).

كذلك كان التوجه في الصلاة نحو بيت المقدس في بدء الكلام بالسنة خاصة، ثم نسخ بقوله تعالى:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣).

وصوم عاشوراء كان واجباً أيضاً في السنة النبوية، ثم نسخ بصوم شهر رمضان بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٤).

وقد ورد أن الإمام الباقر عليه السلام سئل عن يوم عاشوراء؟ فقال:

«كان صومه قبل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك»^(٥).

خامساً: «وَبَيْنَ وَاجِبِ بَوَاقْتِهِ، وَزَائِلِ فِي مُسْتَقْبَلِهِ» وقد ذكر الشارح المعتزلي «ابن

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٥) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢.

أبي الحديد في إيضاح هذين القولين بأن الإمام عليه السلام يريد من قوله الواجبات المؤقتة كصلاة الجمعة، فإنها تجب في وقتٍ خاص بها، ويسقط وجوبها في مستقبل ذلك الوقت...

سادساً: «وَمُبَايِنُ بَيْنَ مَحَارِمِهِ» المحرّمات متباينة من حيث الشدة والضعف ومن حيث الكبر والصغر حيث أوضحها عليه السلام بقوله:

«من كبير أُوْعِدَ عَلَيْهِ نَيْرَانُهُ، أَوْ صَغِيرٍ أُرْصَدَ لَهُ غُفْرَانُهُ».

فرّق هنا أمير المؤمنين عليه السلام بين الكبائر والصغائر من الذنوب، فالكبائر أُوْعِدَ سبحانه عليها النيران، والصغائر أُعد لها الغفران.

• ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه سُئِلَ عن الكبائر فقال:

«كل شيء أُوْعِدَ اللهُ عليه النار» ^(١).

• كما ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه سُئِلَ عن الكبائر كم هي وما هي؟

فكتب: **«الكبائر من اجتنب ما أُوْعِدَ اللهُ عليه النار كُفِّرَ عنه سيئاته إذا كان مؤمناً، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»** ^(٢).

سابعاً: «وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ» الحد الأدنى من التكليف هو المقبول عند الله تعالى: **«وَمَوْسِعٍ فِي أَقْصَاهُ»** والحد الأقصى منه موسّع وللمكلف اختيار ما يناسب وضعه وحاله وهمته ونشاطه كما في قوله تعالى: **﴿فَأَقْرَهُ وَآمَّا تَيْسَّرَ مِنْ أَلْقَرَاءِ﴾** ^(٣).

فعبّر هنا عن الصلاة بالقرآن، لأنَّ القراءة جزء من الصلاة أي صلوا ما تيسّر لكم من الصلاة في الليل، فالقليل منها مطلوب، والكثير منها موسّع ومرخص في تركه وللناس الخيار في ذلك.

(١) ثواب الأعمال، ص ٢٠٩.

(٢) ألف حديث في المؤمن، ج ١، ص ٢٤٩.

(٣) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الخطبة . ٩١ -

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: تعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبه ﷺ وكان قد سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عياناً، فغضب ﷺ لذلك.

وقال: «فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ، فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَثْمَةَ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكُلُّ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ».

وقال أيضاً في آخر فقرة من هذا المقطع من الخطبة:

«وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنْزَلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ».

الشرح

«فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ، فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَانْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضَىٰ

بِنُورِ هِدَايَتِهِ» أمر ﷺ السائل بالرجوع إلى القرآن الكريم والكتاب الحكيم والاسترشاد بهديه والاستضاءة بأنوار هدايته والأخذ بأوصاف الجلال ونعوت العظمة والكمال الموجودة فيه، فإنه أوضح سبيل وأكمل دليل، وهو كلامه الحق سبحانه، فهو أعلم بصفاته من غيره، فما وصف به نفسه فهو الحق، والحق أحق أن يتبع حيث قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(١) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٣).

فهو - جلت قدرته - رب، رحمن، رحيم، شهيد، عليم، حكيم، قادر، قاهر، خالق، رازق، سميع، بصير، خبير، إلى آخر أسماء الله الحسنى.

فالآيات الشريفة تنص على عدم امكان معرفته حق المعرفة وعدم جواز ادراكه بالأبصار وبمشاهدة العيان. قال السائل الذي سأل الإمام الرضا ﷺ عن الله هل يوصف؟ فقال ﷺ: «أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٤)»^(٥).

فيجب الإذعان لما يقوله القرآن وعقد القلب عليه وعدم التفصيل عن كيفية علمه، فربما يؤدي التعمق إلى الضلال والضياع كما ضلّ فيه كثير من الحكماء...
- وبعد أن أمر ﷺ بالرجوع إلى القرآن والإقتداء بهديه وتعاليمه والاستضاءة بأنواره والأخذ بما ورد فيه من صفات الخالق تعالى - جلت قدرته وتقدس أسماءه - أتبعه بقوله:

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

(٥) بحار الأنوار، ج ٤، ص ٣٩.

﴿وَمَا كَفَّلَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمَّةِ الْهُدَىٰ آثَرُهُ، فَكُلِّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَىٰ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾.

ومراد الإمام ﷺ هو عدم التكلف، فيما لم يفرض علمه على المكلفين، وعدم الخوض فيما لم يثبت وجوب معرفته على العباد في الكتاب المبين، ولا في سنة النبي الأمين وأئمة الدين سلام الله عليهم أجمعين.

ومؤكداً بأن منتهى حق الله على العباد هو أن يقولوا بما دل عليه القرآن ويكفوا علمه ويفوضوه إلى الله المتعال، وأن تكلف ما يزيد على ذلك هو من تكليفات الشيطان الرجيم ووساوسه ليضل الناس عن المنهاج القويم، منهاج رب العالمين.

قال ﷺ: «... وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعاذل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت به شواهد حجج بيِّناتك»^(١)... وهذا القول يؤديه الدعاء الماثور عن الإمام زين العابدين السجاد ﷺ حيث يقول: «كذب العادلون بك وضلوا صلاباً بعيداً»^(٢) الذين جعلوا الله سبحانه نداً وعديلاً، وهو الكفر والضلال كما شهدت به الآيات المحكمات البيِّنات، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾^(٣).

(١) نهج البلاغة: من خطبة الأشباح رقم ٩١، ص ١٢٦، تحقيق صبحي الصالح.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٥ - ١٦٦.

وفي سورة إبراهيم، قال سبحانه:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾^(١).

وفي سورة الزمر، قال عز وجل:

﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾^(٢).

وفي سورة فصلت، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ شَيْءٍ يَدْعُونَ بِهِ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۗ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣).

هذه جملة من الآيات الكريّمات البيّنات التي تفيدنا في هذا المجال وهناك كثير غيرها من الآيات التي تصب جميعها في هذا المنحى.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٨.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٩.

الخطبة . ١١٠ .



ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: في أركان الدين:

اسمها: خطبة الديباج:

حث ﷺ . بعد ذكر أهم أركان الدين . على تعلم القرآن فقال:

«وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ،
وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقِصَصِ، فَإِنَّ
الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ
عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ الْيَوْمَ».

الشرح

«وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ» في هذا القول الشريف أمر أكيد وحثٌ مفيد على تعلّم القرآن لعلو مقامه وسمو مكانه وعظيم قدره وجليل تعاليمه وعدوبة ألفاظه ودقة معانيه وحكمة مبانيه، فهو لاشتماله على ما لم يشتمل عليه غيره من كلام المخلوقين كان أفضل وأحسن الكلام وأعظم الحديث، أمر عَلَيْهِ السَّلَامُ بتعلمه لذلك الاعتبار مضافاً إلى ما يترتب على تعلمه من عظمة الفوائد وكثرة العوائد.

«وَتَفَقَّهُوا فِيهِ» أي تفهموه وتدبروه وفكروا في معانيه وأسراره وتعاليمه «فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ» وهنا استعارة جميلة كون الربيع جامع لأنواع الأزهار والورود والرياحين التي هي محط الأنظار ولذة الأبصار ومجمل المعنى أنه يجب عليكم فهم وإدراك معاني القرآن كيلا تحرموا من فوائده ولا تغفلوا عن منفعه، فإنه بمنزلة الربيع البهيج المتضمن للفوائد الكثيرة والمنافع العظيمة في الدنيا والآخرة.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَنَارُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور».

كما ورد أيضاً عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث يقول: كان في وصية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأصحابه:

«إِعلموا أن القرآن هدى النهار ونور الليل المظلم على ما كان من جهل وفاقه»^(١).

- «وَأَسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ» نِعَمَ الشِّفَاءِ الْقُرْآنَ حَيْثُ وَرَدَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْقُرْآنُ هُوَ الدَّوَاءُ» فهو شفاء من كل الأمراض والأسقام الظاهرة والباطنة الحسية والعقلية والروحية وقد أورد الكافي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٢٤٤.

شكى رجل للنبي ﷺ وجعاً في صدره فقال ﷺ: استشف بالقرآن فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١) (٢).

«وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ» قال تعالى: ﴿مَنْ نَقَضَ عَلَيْهِ كَلِمَةً أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (٣). وما دام القرآن هكذا حيث القصص النافعة فيه، فلا ريب في بذل الجهد واعطاء التلاوة حقها بحسن التدبر والتفكير لادراك منافع هذه القصص ونيل ما فيها من الفوائد الجمّة العظيمة.

وقد سئل أبو عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (٤) قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: «بَيْنَهُ تَبْيَانٌ وَلَا تَهْذُءُ هَذَا الشَّعْرَ وَلَا تَنْثَرُهُ نَثْرَ الرَّمْلِ وَلَكِنْ افْزَعُوا قُلُوبِكُمُ الْقَاسِيَةَ وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ» (٥).

ولما أمر ﷺ بتعلم القرآن وعقبه بأمور مثل التفقه فيه والاستشفاء بنوره وإتقان تلاوته علل ذلك وقال: «فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ» كمن علم بوجوب الصلاة والزكاة والحج والجهاد لكنه لا يعمل بما يعلم فهو المتحير في وجه الخير وطريق السعادة وبالتالي فلا يستطيع الخلاص من جهله، فإن العلم إنما هو للعمل، فإن لم يرافق العلم العمل فهو والجاهل سواء «بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ» إلا أن عدم العمل بالعلم الذي حصله هو حجة عليه وإدانة له، لعدم استفادته من علمه، وقد ورد عن أبي عبد الله ﷺ قوله لأحد اصحابه وهو حفص بن غياث إذ قال: «يَا حَفْصُ إِنَّهُ يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْباً قَبْلَ أَنْ يَغْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبَ وَاحِدٍ» (٦) وعليه فالحسرة لفوات الاجر والثواب ستكون به ألصق وله الأزم «وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ» كما تقدم.

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١٧٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٤.

(٥) أصول الكافي، ج ٢، ص ٦١٤.

(٦) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٧.

«وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَتَمُّ» العالم والجاهل كلاهما موضع ملامة عند الله سبحانه
إلا أن اللائمة على العالم أشد وأمرٌ لعدم قيامه بوظائف علمه كما ينبغي أن يكون
عليه، فهذا يستحق من العقاب واللوم ما لا يستحقه غيره، فهو بذلك يكون عند
الله اعنف لوماً وتقريعاً وأشد عذاباً ونكالاً.

الخطبة . ١٤٧ .

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: الغاية من البعثة:

تحدث فيها عن الغاية من البعثة، وفضل القرآن، والناس في المستقبل، وعظه

الناس. يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

«فَبِعَثَّ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ،
وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ
جَهَلُوهُ، وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ».

فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ
وَخَوْفِهِمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مِنْ مَحَقِّ بِالْمَثَلَاتِ، وَاحْتَصَدَّ مِنْ احْتَصَدَّ
بِالِنَقَمَاتِ!.

وَإِنَّهُ سَيَّأَتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ
مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ
سَلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ،
وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ
حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفْظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ
مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مَوْءٍ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ

فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لَأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ
اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الضَّرْفَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَانَتْهُمْ أُمَّةَ الْكِتَابِ
وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ. فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ،
وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ، وَسَمَوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً، وَجَعَلُوا
فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مِنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ، فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا
بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسُّوْا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي
نَبَذَهُ، فَالْتَمَسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ
يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنِ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنِ مَنْطِقِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنِ بَاطِنِهِمْ، لَا
يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

الشرح

في هذه الخطبة يُشير امام المتقين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى بعثة الرسول ﷺ والغرض من وراء هذه البعثة، ومن ثمَّ يُبين صدق دعواه بمعجزة العصر وآية البعثة النبوية الشريفة وهو القرآن الكريم إذ يقول: «بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ» فالله سبحانه أحكم هذا القرآن وبينه تبياناً لكلِّ شيء فجاء كاملاً من غير نقص ومتقناً من غير خلل كما قال جلَّ اسمه:

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَضَّلَتْ ﴾^(٢).

وفي موضع آخر: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾^(٣).

فبعث الله تعالى النبي ﷺ ومعه الحجة البالغة والمعجزة الدامغة، القرآن الكريم الذي لوى الأعناق واطاح بالرقاب فعجز أعظم البلغاء وفضاحل الفصحاء وقمم الأدباء من الاتيان بأية مثل آياته البيّنات ﴿ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٤).

- «لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ» فأغلب الناس كانوا في جهالة جهلاء وضلالة عمياء لا يعرفون لهم رباً ولا رسولاً فأنزل الله تعالى القرآن ليعرفوا بذلك ربهم وليعلموا بعد الجهالة وليعبدوه بعد عبادة الأصنام والأوثان.

- «وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُنْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ» والإقرار والإثبات

من مقومات الايمان الثلاثة وهي: «الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل

بالاركان» ويتجلى حصول العلم بالله سبحانه وتعالى من خلال كتابه المعجز

«القرآن الكريم»، وهذا ما يفسره قول الإمام الخميني قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال عن القرآن:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٢) سورة هود، الآية: ١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

«لولا القرآن لبقى باب معرفة الله مغلقاً إلى الأبد» وتجلّى الله تعالى في قرآنه لعباده المتقين فراؤه ببصيرتهم **«بِمَا آرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ»** وذكرهم ببدائع مخلوقاته وعظائم مصنوعاته وعجائب خلقه كما قال - جلّت قدرته ..

. **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** ^(١).

وقال: **﴿وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابِ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** ^(٢).

إلى غيرها من الآيات الدالة على عظمة الصنع وبديع الخلق.

- إلى أن قال **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**: **«وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ»**.

- والغالب عند أهل ذلك الزمان القول بالباطل واتباع الهوى والحرص على الدنيا وملذاتها فعندهم كتاب الله متاع كاسد بل هو أكسد وأفسد، بل هو برأيهم الأهوج لا يساوي شيئاً لانحرافهم وضلالهم وفساد فطرتهم التي فطرهم الله عليها فلا ينظماس عقولهم ولانتكاس نفوسهم يحسبون أن القرآن اذا قُسر على الوجه الذي أنزل عليه وعلى المعنى المراد منه يكون عندهم لامتع أبور منه لعدم استفادتهم مما فيه من بيان وحجج وعلوم وغيرها، لكونهم أهل الباطل وعبدة الشهوات وأسرى الملذات والأهواء، بل وأكثر من ذلك، لا شيء أروج ولا أنفق منه - أي القرآن - إذا حرّف عن أهدافه الأصلية ومقاصده الالهية، وذلك لموافقة أغراضهم الفاسدة مع ما يريدون أن يكون عليه الكتاب السماوي العظيم هذا **«وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»**.

- **«وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُتَنَكَّرِ»** فلانحراف

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤.

فطرتهم السليمة عن سبيل الحق، ولكون المعروف يخالف أغراضهم وسلوكهم يستقبحون فعله حتى أصبح عندهم منكراً، وبالعكس لما كان المنكر يوافق أهدافهم وميولهم لزموه واتبعوه حتى صار معروفاً بينهم يستحسنون فعله. **«فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتُهُ»** أي أعرض عنه قرآؤه الحاملون له وتركوا التدبير فيه والتفكير في مكنوناته الثمينة فأصبح حالهم كحال الحمار الذي يحمل أسفاراً ولا يستفيد منها إلا التعب في الحمل لا غير، **«وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتُهُ»**، التناسي: التغافل أي تغافل حفظته عن اتباعه وعن الالتزام بأوامره وتوجيهاته ونواهيته وتعليماته.

- **«فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ»** فأهل القرآن هم الذين يتلونهم حق تلاوته وهم الملتزمون به قولاً وعملاً وهم أئمة الدين وأهل التقوى الذين يعملون به.

- **«طَرِيدَانِ مَنْفِيَانِ»** فالكتاب وأهله طردهم أهل الباطل والضلال، فأعرضوا عنه وعنهم، إبعاداً لهم ونفياً وطرداً، كما فعل في كثير من الصحابة من أمثال حجر بن عدي وابوذر الغفاري **«رضوان الله عليهما»**..

- **«وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ»** والحال أنهما **«الْكِتَابُ وَأَهْلُهُ»** متلازمان وصديقان أحدهما صاحبٌ للآخر لا يفارقه ولا يبتعد عنه أبداً وهما يسيران في طريق واحد هو طريق الخلاص وهو طريق الحق لا غير، ولنفرة أهل ذلك الزمان منهما فلا يؤويهما أحد ولا يضمهما ضام لاختلافهم عنهما في كل شيء وبالتالي فلا ملجأ لهما ولا مأوى إلا الله الواحد القهار.

- **«فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ»** والحال أنهما بين الناس كما يوحى من حيث الظاهر والمشاهدة إلا أنهما في الحقيقة ولعدم اتباعهما من قبل الناس وعدم الاستفادة منهما، فثمارهما ومنافعهما وفائدتهما لا ينالها الناس أبداً وبالتالي فلا وجود لهما واقعاً وحقيقة.

- **«لَأَنَّ الضَّلَالََةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا»** فمتى كانت الضلالة موافقة لهدى القرآن ولأهله؟! فهما ضدان وإن اجتمعا في وجودهما.

- **«فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ»** توافق هؤلاء مع بعضهم على الافتراق عن الكتاب وتركه وراء ظهورهم ونفيهِ عن واقع حياتهم، وكذلك افترقوا عن أهل الكتاب العاملين به والمطّيقين لتعاليمه والملتزمين بأوامره حيث يقول إمامنا **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - **«وافترقوا عن الجماعة»**، **«كَأَنَّهُمْ أُمَّةُ الْكِتَابِ»** يفسّرون القرآن ويغيّرونه ويحرّفونه حسبما تقتضيه مصالحهم الخاصة، ورغباتهم الآنية وأغراضهم الدنيوية الفاسدة، وهم في تعاملهم مع القرآن كشأن الإمام مع المأموم، **«وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ»** فالواجب عليهم إتباع تعاليم هذا الكتاب واقتفاء أثره وليس العكس أي لا يمكن أن يأتّم الإمام بالمأموم كما فعلوا هم مع القرآن.

- **«فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ»**.

وما داموا كذلك في تركهم للقرآن وعدم اتباع ما يدعو إليه من حسنات الأعمال والخير العميم، فلم يعرفوا إلا اسمه ورسمه وكتابه لا غير، وأما محتواه وفحواه فهم بعيدون عنه كل البعد وبهذا فهم يوم القيامة بعيدون عن رحمة الله ورضوانه. - **«وَمَنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ»** وتمثيلهم بالصالحين وتشنيعهم بهم خير دليل على عدم التزامهم بالكتاب العظيم، وفي ذلك إشارة إلى ما صدر من بني أمية في أوائل اغتصابهم للخلافة الاسلامية، حيث ورد أن معاوية قتل من المهاجرين والأنصار وأولادهم أربعين الفاً، وما فعله عبد الملك بن مروان وعامله الحجاج بن يوسف الثقفي **«عليهما لعائن الله تعالى»** في العراق والحجاز وغيرهما ما يُغني عن إيراد الكثيرين أمثال هؤلاء الذين حكموا باسم القرآن والإسلام.

- **«وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً»** أي سمّوا صدق هؤلاء الصالحين الأبرار الذين نُكِّلَ بهم أنهم مفترّون على الله، فنسبوا أقوالهم الصادقة الحقة إلى الكذب وهذا شأن كل الحكام الظالمين الذين يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى.

- **«وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ»** ولغلبة جانب الشر والانحراف والفساد على طباعهم ونفسياتهم فإنهم يرون في حسنات الصالحين سيئات فعاقبوهم

عليها بزعمهم الكاذب المنحرف كما يعاقب المسيء بإساءته ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١).

ويتحدث الإمام عليه السلام بعد فقرتين من الخطبة الشريفة، ويذكر القرآن في هذه الفقرة ويقول:

- «وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكْتُمْ» الرشد هو الحق

والغي هو الباطل ومعرفة الرشد أي الحق تتوقف على معرفة تاركة وتاركه هم أهل الباطل - كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾^(٢).

والتمسك به منقذاً من الضلال والغواية، فكان الأخذ به والعمل على هديه واجباً.

- «وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَمَسُّوهُ بِهِ حَتَّى

تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ».

وقد ذكر صاحب كتاب منهاج البراعة العلامة ميرزا حبيب الله الخوئي ما يلي:

١ - «أن الأخذ بميثاق الكتاب هو التمسك به واتباعه ومعرفة معناه والعمل بمواثيقه

وأحكامه التي هي عهد الله تعالى» وجب على ذلك معرفة الناقضين لعهود الله ومواثيقه والتاركين لأحكامه وراء ظهورهم وهم المحرّفون والمغيّرون والمفسّرون بأهوائهم حسبما تتطلبه مصالحهم الشخصية وأغراضهم الدنيوية، ولا شك أن التمسك به «أي بالرشد وهو القرآن» لا تتم إلا بمعرفة النابذين له والتاركين لأحكامه ومواثيقه - وقول الإمام عليه السلام هنا هو للتببيه على وجوب التبري من أئمة الضلال والمعاداة لأعداء الله سبحانه، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، نذكر هنا بعضاً مما يناسب المقام:

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ١-٢.

قيل أن رجلاً قَدِمَ على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنني أحبك وأحب فلاناً وسمى بعض أعدائه فقال: أما الآن فأنت أعور فيما أن تعمى وإما أن تبصر^(١).

- وقيل للإمام الصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف من البراءة من عدوكم، فقال: هيهات كذب من أدعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا^(٢).
- وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا^(٣).

- ولما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٤) قال النبي ﷺ: «من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء من قبلي، ومن تولى ظالماً فهو ظالم»^(٥).

(١) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٥٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٥٨.

(٣) مستطرفات السرائر، ج ١، ص ١٠٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٦٠.

الخطبة. ١٥٦.

ومن كلام له عليه السلام :

موضوعه: خطاب لأهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم وفيه وصف لكتاب الله سبحانه.

يقول الإمام عليه السلام في وصف كتاب الله عز وجل، وفيه حث على الالتزام به:

«وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ
وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمَتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ. لَا يَعْوَجُ فَيَقَامُ، وَلَا يَزِيغُ
فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تُخْلَقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ
سَبَقَ».

الشرح

في أحد مقاطع هذه الخطبة يوصينا أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن الكريم ويقول:

- «وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ» وقد استعار هنا لفظ الحبل باعتبار حصول النجاة للمتمسك به فذكر القرآن باعتباره منجاة للمتمسك به من الضلال والغي والانحراف في الدنيا، وفي الآخرة نجاة له من حر الجحيم والعذاب المقيم في جهنم والعياذ بالله، كما استعير من قبل حديث للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث يقول واصفاً القرآن الكريم:

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

- «وَالنُّورُ الْمُبِينُ» وهما استعارة أيضاً ومثلها في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٢) فالقرآن هو نور يهتدى به كما يهتدي بالنور في الظلمات الحالكة المهتدون.

- «وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ» فكما ينتفع المريض بالدواء فيشفى ويبرأ ويصح، فالقرآن يحصل به البرء من الأمراض والأسقام البدنية والنفسية كما قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ لِنُورٍ مِّنْ لَّدُنْكَ وَأَمَّا هُدَىٰ فَالشِّفَاءُ﴾^(٣) وقال في موضع آخر: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٤).

- «وَالرِّيُّ النَّافِعُ» فكما الماء يروي العطشان ويقطع الظمأ، فكذلك القرآن فهو نافع ودافع لعطش العلماء لما فيه من العلوم الالهية والمعارف الحقّة العالوية.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

- «**وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ**» ومن تمسك وتعلق به وأخذ بأحكامه وتعاليمه وسار على نهجه فهو يعصمه يوم لا عاصم إلا الله تعالى ولا منجي له من غضب الجبار ودخول النيران.

- «**وَلَا يَعْوجُّ فِيقَامٌ**» فهو كلام الحق تعالى يُصدِّقُ بعضه بعضاً ويؤيد بعضه بعضاً فلا يحتاج إلى إصلاح اعوجاجه واختلافه وتباينه وخلله ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

- «**وَلَا زِيغٌ فَيَسْتَعْتَبُ**» من صفات كلام الله تعالى أنه لا يميل عن الحق ولا ينحرف عنه قيد أنملة، لذا فهو لا يُسْتَعْتَبُ، أي لا عتاب على القرآن كونه هو الحق الصراح البين الواضح، والعتاب على الذي لا يلتزم به ولا يتبع أوامره ولا يترك نواهيه «**وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُجُوحِ السَّمْعِ**» من المعروف أن الكلام كلما تكرر مَجَّتْهُ الأذواق وعافته النفوس واشمأزت منه القلوب، فيكون بذلك مبتدلاً لا يُعبأ به، أما القرآن الكريم فلأنه لا يشبهه كلام المخلوق فتراه لا زال غضاً طرياً تستلذ بسماعه النفوس وتُصغي إليه القلوب وترتاح له الأسماع بل بتكراره يزداد بهاءً ونقاءً وصفاءً وهذا من دلائل اعجازه وعظيم نظمه وحسن عبارته ولطيف سجعته.

- «**مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ**» كيف لا يكون كذلك وهو كلام الله الحق وقوله الفصل، فالقائل به دائماً يمثل الصدق بعينه ولا صدق سواه أبداً.

- «**وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ**» والعامل به يسبق الجميع إلى جنات النعيم ودار السعادة والرضوان وهو الفوز الذي ينشده المؤمنون، ولمثل ذلك فليعمل العاملون ومن أجل ذلك فليتنافس المتنافسون.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

الخطبة ١٥٨.

ومن خطبة له عليه السلام:

موضوعها: يُنبّه فيها على فضل الرسول الأعظم، وفضل القرآن، ثم حال دولة بني أمية.

. قال الإمام عليه السلام في بداية الخطبة:

«فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ
فَاسْتَنْطَقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ
عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَا دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ».

الشرح

في بداية هذه الخطبة يبين امامنا ﷺ فضل الرسول الأعظم ﷺ وفضل القرآن ويقول:

- «فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» أي جاءهم الرسول ﷺ بكتاب فيه تصديق الذي بين يديه، فيكون المصدق هو الكتاب كما قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(١).

فهنا التصديق وصفاً للقرآن بقريظة قوله «وَالنُّورُ الْمُقْتَدَى بِهِ» والنور كذلك هو القرآن الكريم كما قدّمنا من خلال الآيات القرآنية الكريمة باعتباره «أي القرآن» هادياً لمن يهتدي به في ظلمات الضلال والجهالة ويقتدي بتعاليمه وأحكامه قال سبحانه: ﴿فَدَجَّاءَ كُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكُتُبٌ مُبِينٌ﴾^(٢).

- «ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ» فهذا الكتاب المنزل منه تعالى اعجازاً لرسوله الأكرم ﷺ يطلب منا امامنا ﷺ أن نستنطق مفاهيمه ونستفهم مضامينه، ونفهم ما يتضمن من الأحكام والحدود والحلال والحرام، ولا شك أن فهمه بتفاصيله كلها غير ممكن لاشتماله على الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتنزيل والتأويل والظاهر والباطن وغير ذلك، لذا فقد أتبعه بقوله ﷺ «وَلَنْ يَنْطِقَ» حيث أنه قرآن صامت لا بد من مترجم، والمترجم هم آل البيت الأطهار ﷺ وفي مقدمهم امام المتقين ﷺ وقد قال في موضع آخر عن ذاته المقدسة أنه هو القرآن الناطق.

- «وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ» فهو المترجم له والناطق به وهو الذي يدرك معانيه كلها ظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه.

- «أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي» في القرآن أخبار المستقبل وما يأتي لاحقاً من أحوال

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥.

البعث والنشور والقيامة والجنة والنار والموت والبرزخ وكل ما يحصل في الأزمان القادمة المتلاحقة.

- «وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي» كما أن في القرآن أخبار المستقبل كذلك فيه أخبار الأمم الخالية من الملوك والسلاطين وقصص الأنبياء السابقين وأقوالهم وما عانوه وما مروا به من أحداث فيه كذلك كيفية بدء الخليقة - من السماء والأرض والانسان والحيوان والشجر والحجر وغير ذلك مما مضى وانتهى.

- «وَدَوَاءَ دَائِكُمْ» ويشتمل كذلك على الأدوية والعلاجات الناجعة والفضائل العلمية والعملية التي بها صلاح النفوس والعقول والابدان وفيه الدواء النافع الناجح من داء الجهالة والضلالة.

- «وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ» والقرآن كونه محتويًا على القوانين والأحكام الشرعية ومقومات العدالة الاجتماعية والسياسية والادارية التي بها ينتظم العالم وتستقيم الأمور وينعم المجتمع كل المجتمع بالحياة السعيدة الرغيدة فهو إذن فيه دواء لكل داء كما قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾^(١).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

الخطبة ١٧٦.

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

يقول الإمام ﷺ في فضل القرآن :

«وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ،
وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدًا إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَزِيَاةٌ أَوْ
نُقْصَانٌ : زِيَاةٌ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٌ فِي عَمَى . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ
بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ،
وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لِأَوَانِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ،
وَالْغِيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ
مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ،
وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي
حَرْثِهِ وَعَاقِبَةُ عَمَلِهِ غَيْرُ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرْثَتِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ
عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَشْفُوا فِيهِ
أَهْوَاءَكُمْ».

وفي مقطع آخر من الخطبة قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظُ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ،
وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ
قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَالْمُتَنَاسُونَ».

الشرح

في هذه الخطبة يبين إمامنا عليه السلام فضل القرآن ويقول:
 - «وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ» المخلص المشفق «الَّذِي لَا يَغُشُّ» في
 هديه وإرشاده إلى المصالح الدنيوية والأخروية كالصديق الناصح الذي يريد
 الخير لصديقه «وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ» من اتبعه واهتدى به وعمل بمنهاجه
 وطريقته.

وقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَنَارُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، فَلِيَجَلَّ جَالُ بَصْرِهِ، وَيَفْتَحَ
 لِلضِّيَاءِ «نَظْرَهُ»، فَإِنَّ التَّفَكْرَ حَيَاةَ قَلْبِ الْبَصِيرِ، كَمَا يَمْشِي الْمَسْتَتِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ
 بِالنُّورِ»^(١).

- «وَالْمُحَدَّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ» كل ما هو موجود في القرآن من أخبار الأمم
 السابقة والأنبياء والمرسلين وما يروي من القصص، كلها موضع صدق واحترام
 من الجميع، حتى من غير المسلمين، وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق
عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابَهُ وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ فِيهِ
 خَبْرَكُمْ، وَخَبِرَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَخَبِرَ مِنْ بَعْدِكُمْ، وَخَبِرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَلَوْ أَتَاكُمْ
 مِنْ يَخْبَرِكُمْ عَنْ ذَلِكَ لَتَعَجَبْتُمْ»^(٢).

- «وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ» المراد بالمجالسة، المصاحبة للقرآن وملازمته
 وتدبره وفهم ألفاظه ومعانيه «إِلَّا قَامَ عَنْهُ» المقابلة هنا بين المجالسة والقيام
 مقابلة لطيفة بين الفعلين «جالس، قائم» كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا
 فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٣) هنا إشارة جميلة واستعارة لطيفة باعتبار الضال كالमित في
 حقيقته، ولا حياة إلا بالهداية وبالاسلام والقرآن.

(١) كيف نقرأ القرآن، ج٥، ص١٠٩.

(٢) المرشد الوجيز لقراء كتاب الله العزيز، ص٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

فالذي قام عن القرآن بعد مصاحبته ومجالسته له فإنما يقوم **«بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ** : **زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نَقْصَانٍ فِي عَمَى**» إذ أن القرآن ما يزيد في بصيرة المهتدي، وينقص من عمى الجهل والضلال والغي.

- **«وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لَأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى»** والمراد أن من قرأ القرآن وتدبر آياته وعلم بما فيه وعمل به وفق أحكامه وتعاليمه فقد نال سعادة الدارين ونفى الفقر والحاجة والفاقة عن نفسه وعن عياله فهو في غنى دائم ما دام كذلك.

وقد ورد في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن قال:

«من قرأ القرآن فهو غني ولا فقر بعده، وإلا ما به غنى» (١).

- **«فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ»** ففي القرآن شفاء من كل داء كما ورد عن رسول الله ﷺ حيث

يقول **«القرآن هو الدواء»** فهو دواء لجميع الأمراض البدنية والنفسية والأمراض الظاهرة والباطنة، قال تعالى: **«وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَلَيْهِمْ عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۗ»** (٢).

وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عن آبائه الطاهرين عليهم السلام قال:

«شكى رجل إلى النبي ﷺ وجعاً في صدره فقال: استشف بالقرآن فإن الله عزّ

وجلّ يقول: «وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ» (٣) (٤).

- **«وَأَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لَأَوَائِكُمْ»** واستعينوا به من شدائدكم التي تمر عليكم،

شدائد الزمان ونوائب الدهر، وطوارق الحدّثان. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام

أنه قال: **«والذي بعث محمداً ﷺ بالحق وأكرم أهل بيته، ما من شيء تطلبونه**

(١) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٨٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٧٦.

من حرز من حرق أو غرق أو سرق أو افلات دابة من صاحبها أو ضالة أو أبق إلا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليساألني عنه»^(١)...

«وَأَنَّ فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالغِيُّ وَالضَّلَالُ».

قال رسول الله ﷺ: «الْقُرْآنُ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ وَتَبْيَانٌ مِنَ الْعَمَى، وَاسْتِقَالَةٌ مِنَ الْعَثْرَةِ، وَنُورٌ مِنَ الظُّلْمَةِ [الضَّلَالَةِ]، وَضِيَاءٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَعَصْمَةٌ مِنَ الْهَلَكَةِ وَرُشْدٌ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَيَانٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَبِلَاغٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَفِيهِ كَمَالٌ دِينِكُمْ وَمَا عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَّا إِلَى النَّارِ»^(٢).

«فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ»، فاطلبوا من الله ما تريدون من سعادة الدنيا والآخرة باتباعه، وأقبلوا على الله بحبه، أي بالرغبة في اقتفاء أثره واتباع هديه، فهو الوسيلة الكفيلة لنيل الرغائب والمسائل والحاجات.

«وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ» وهنا نهى ﷺ بعدم جعل القرآن وسيلة للمسألة إلى الخلق. ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ في الكافي أنه قال: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ فُلَانٌ قَارِئٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُطَلَّبَ بِهِ الدُّنْيَا وَلَا خَيْرَ فِي ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فِي صَلَاتِهِ وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ»^(٣).

وورد أيضاً عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال:

«قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاتَّخَذَهُ بَضَاعَةً وَاسْتَدْرَجَ بِهِ الْمَلُوكَ وَاسْتَطَالَ بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ وَأَقَامَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ فَلَا كَثْرَ اللَّهُ هَوْلَاءَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَوَضَعَ دَوَاءَ الْقُرْآنِ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ فَاسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ وَاضْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ وَقَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ وَتَجَافَى بِهِ عَنِ فِرَاشِهِ فَبَاوَلَتْكَ يَدْفَعُ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْبَلَاءَ، وَبَاوَلَتْكَ يُدِيلُ اللَّهُ عَزَّ

(١) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٢.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج ٢، ص ٥٠٠.

(٣) الكافي الكليني، ج ٢، ص ٨١٧.

وجلُّ من الأعداء، وبأوثقك يُنزل الله تبارك وتعالى الغيث من السماء فوالله لهؤلاء في قرأ القرآن أعز من الكبريت الأحمر».

«إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ» المراد أن القرآن الكريم إذا توجهه الناس به إلى الله تعالى لكرامته عند الله فسيكون النجاح والتوفيق حليفهم ولا يخيب حينها رجاؤهم ولا يرد دعاؤهم فهو من أفضل الوسائل إلى الله تعالى في طلب الحوائج وإنجاح المقاصد كلها.

«وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ» القرآن بلا شك يشفع يوم القيامة لقارئه ولحامله وللعامل به، ويشهد لهؤلاء بالخير وللتاركين له بالشر فيصدق فيهما كما يشير عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه بقوله:

«وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ» والمراد قبلت شفاعته.
«وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ» أي سعى به إلى الله سبحانه وقال في حقه قولاً يضره ويوقعه في المكروه «يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقَ عَلَيْهِ» فالقرآن الكريم شاهد صدق لا ترد شهادته عند الله.

ورد عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال:

«إِنَّ الدَّوَابِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: دِيْوَانٌ فِيهِ النِّعَمُ، وَدِيْوَانٌ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَدِيْوَانٌ فِيهِ السَّيِّئَاتُ، فَيَقَابِلُ بَيْنَ دِيْوَانِ النِّعَمِ وَدِيْوَانِ الْحَسَنَاتِ، فَيَسْتَعْرِقُ النِّعَمَ دِيْوَانِ الْحَسَنَاتِ، وَيَبْقَى دِيْوَانِ السَّيِّئَاتِ فَيَدْعَا ابْنَ آدَمَ الْمُؤْمِنَ لِلْحِسَابِ، فَيَتَقَدَّمُ الْقُرْآنُ أَمَامَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ أَنَا الْقُرْآنُ وَهَذَا عَبْدُكَ الْمُؤْمِنُ، قَدْ كَانَ يَتَعَبُ نَفْسَهُ بِتِلَاوَتِي، وَيَطِيلُ لَيْلَهُ بِتَرْتِيلِي وَتَفْيِضِ عَيْنَاهُ إِذَا تَهَجَّدَ، فَأَرْضَهُ كَمَا أَرْضَانِي، قَالَ: فَيَقُولُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ: عَبْدِي ابْسُطْ يَمِينَكَ، فَيَمْلؤها من رضوان الله العزيز الجبار، ويملأ شماله من رحمة الله، ثمَّ يُقَالُ: هَذِهِ الْجَنَّةُ مَبَاحَةٌ لَكَ فَاقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَإِذَا قَرَأَ آيَةَ صَعِدَ دَرَجَةً»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٢٦٨.

وخلاصة المراد أن القرآن يجيء يوم القيامة: في صورة إنسان وله لسان يشهد للناس عليهم ويقبل شهادته نفعاً وضراً وشفاعته في حق المراعين له وينتفع به العاملون به والآخذون بتعاليمه وأحكامه **«فإنه ينادي مناد يوم القيامة»** المنادي من قبل الله تعالى ولعله الملائكة: **«أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَىٰ فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةُ عَمَلِهِ غَيْرُ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ»**.

والمراد من قوله ﷺ هذا ما تؤكدُه الآية القرآنية الشريفة:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(١).

والحرث: إلقاء البذر في الأرض وتهيؤها للزرع، ويسمى المحروث حرثاً، قال تعالى: **﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾**^(٢).

ويقال: احرث القرآن أي: أكثر تلاوته، وحرث ناقته: إذا استعملها والمراد هنا من الحرث مطلق الاستعمال والتجارة والكسب.

ولا شك أن حارث القرآن هو الفائز يوم القيامة لكونه يتعاطى مع كلام الله فلا ابتلاء له لأن حَرْثَهُ لِلْآخِرَةِ، ومن كان حرثه للآخرة فلا ضير عليه، فهو الراجي لرحمة ربه والمنتظر عفوه وكرمه، فحرثه كله خير وبركة.

وقد أمرنا ﷺ أن نكون من حرثته واتباعه **«فَكُونُوا مِنْ حَرْثِهِ وَاتَّبِعُوهُ»**. **«وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ»** أي اجعلوا القرآن دليلاً قاطعاً على الله سبحانه وتعالى وقائداً إليه ففي القرآن ما يكفي لمعرفة الله تعالى فهو يحتوي على جميع صفات الله الجمالية والجلالية وفيه أوصافه التامة الكاملة ولولا القرآن ما عرفنا الله حق معرفته كما يقول الإمام الخميني قدس سره: **«لولا القرآن لبقى باب معرفة الله مغلقاً إلى الأبد»**.

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٢٢.

- «وَأَسْتَنْصِحُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ» وليكن القرآن ناصحاً لكم لما فيه من آيات التحذير والتبشير والترغيب والترهيب فهو نعم الناصح الذي لا يغش والصادق الذي لا يكذب.

- «وَأْتَهُمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ» أي إذا خالفت آرائكم القرآن فاتهموها بالخطأ لأنه كلام الله الحق الصادق المصدق الذي لا يعتريه الخطأ ولا يشوبه الخلل والنقصان.

- «وَأَسْتَغْشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ» أي ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن ولأن الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء التي تغش صاحبها لارتكاب ما يسخط الرب ويغضب الرحمن.

وفي أواخر الخطبة الشريفة يشير الإمام عليه السلام إلى القرآن الكريم مرة أخرى ويقول:

- «وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظَ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ» القرآن الكريم كتاب المواعظ الكثيرة والمتنوعة من وعد ووعيد وترغيب وترهيب، لغرض اتباع طريق الحق وسبيل الرشاد ومن لم يتعظ بالقرآن فقد خسر خسراناً مبيناً «فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ» القرآن هو الحبل الممدود من السماء إلى الأرض من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، «وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ» وُصِفَ الْقُرْآنُ بِالْأَمَانَةِ لِكَوْنِهِ لَا يَخُونُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَأَخْلَصَ لَهُ، فَهُوَ الْمَوْصِلُ إِلَى الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ وَكَسَبَ رِضْوَانَهُ وَالِاسْتِمْتَاعَ بِمَا أَعَدَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَنُوفِ اللَّذَائِذِ وَأَنْوَاعِ الرِّغَائِبِ وَمَخْتَلَفِ الْأَمَانِيِّ. «وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ» كما النفوس تلتذ بأزهار الربيع وأريجه وروائحها كذلك تزدهر به القلوب وتلتذ له وتشرح بتلاوة آياته وتدبر ما من الحكم والمزايا وما تتضمنه من اللطائف البديعة والالتفاتات الرائعة العجيبة، وكذلك فيه «يَنَابِيعُ الْعِلْمِ» شُبَّهَ الْعِلْمُ هُنَا بِالْمَاءِ الزَّلَالِ الَّذِي يَرُوي الظَّمَانَ وَيُنْعِشُ الرُّوحَ وَالْوُجْدَانَ، فَكَمَا أَنَّ بِالْمَاءِ حَيَاةَ الْأَبْدَانِ فَكَذَلِكَ تَحْيِي الْأَرْوَاحَ بِالْعِلْمِ الَّذِي مَنبَعُهُ الْقُرْآنُ وَمَصْدَرُهُ كَلَامُ اللَّهِ الْعَزِيزِ الدَّيَّانِ.

- «وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ» وهل للقلب جلاء غير كتاب الله العظيم الذي به تنفرج الأسارير وتزول الهموم وتصل النفوس، وتسمو إلى عليائها وترنو إلى خالقها وتطمئن إلى ما يحصل لها من مكدرات تنغص عيشها وتكدر صفوها.

- «مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ» ذهب الذاكرون والمتدبرون والمتفكرون في معاني كتاب الله وآياته البيّنات، والآخذون بتعاليمه الشريفة والمستفيدون من أنواره المبيّنة. لعلّ قصد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمتذكّرين هم خيرة أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأبرار الأتقياء والأوفياء.

«وَبَقِيَ النَّاسُونَ» حقيقة وواقعاً «وَالْمُتَنَاسُونَ» الذين يظهر النسيان حرصاً على مصالحهم الشخصية وأهدافهم الآنية التي تحول دون نهجهم وادراكهم واستفادتهم من هذا الكتاب الالهي العظيم. كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

الخطبة ١٩٨ .

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: يُنبّه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثمّ يحث على التقوى، ويبيّن فضل الإسلام والقرآن.

في هذه الخطبة الشريفة يتحدّث الإمام ﷺ عن فضل القرآن وتعد هذه الخطبة من أهم ما تحدّث به ﷺ ، ولعلها أطول خطبة خاصة بالقرآن الكريم وتعرّض فيها إلى ذكر اثنين وأربعين فضيلة من فضائل هذا الكتاب الإلهي العظيم.

«ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوْقَدُهُ، وَبَحْرًا لَا يَدْرِكُ قَعْرَهُ، وَمَنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجَهُ، وَشِعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يَخْمَدُ بَرْهَانُهُ، وَتَبْيَانًا لَا تَهْدِمُ أَرْكَانَهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامَهُ، وَعِزًّا لَا تَهْزِمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ، فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبِحُبُوحَتِهِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبِحُورِهِ، وَرِيَاضِ الْعَدْلِ وَعُذْرَانِهِ، وَأَثَافِي الْإِسْلَامِ وَبِنْيَانِهِ، وَأَوْدِيَةَ الْحَقِّ وَغَيْطَانَهُ، وَبَحْرًا لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لَا يَنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمَسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَأَكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ، جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ. وَدَوَاءٌ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورٌ لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ، وَمَعْقَلًا مَنِيعًا ذُرْوَتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ

دَخَلَهُ، وَهُدَى لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْرًا لِمَنْ اِنْتَحَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا
لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ اَعْمَلَهُ، وَآيَةً
لِمَنْ تَوَسَّمَهُ، وَجُنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ
قَضَى».

الشرح

١ - «نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ» فكما يهتدي المرء بالنور في ظلمة الليل، فكذلك القرآن، فهو النور الذي يهتدي به الناس من ظلمات الجهل والضلال قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾^(١).

والمصابيح هنا ما يحتويه القرآن من صنوف العلوم والمعارف واللطائف والاحكام وغير ذلك.

٢ - «وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوْقُدُهُ» والسراج ضياء القرآن الدائم وغير المنقطع فتوقده لا انقطاع له لحاجة الناس للاهتداء به والاستضاءة بنوره الذي لا يفترو ولا ينقص ولا يتلاشى.

٣ - «وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ» وكونه مستودعاً للأسرار الالهية الخفية، ومنبعاً لشتى العلوم التي لا تُدرَك ولا يمكن نيلها، كما لا يمكن لغائص البحر أن يبلغ قعره ويتلمس جوانبه ويتحسس كنوزه وأحجاره.

٤ - «وَمِنْهَا جَا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ» النهج: الطريق الواضح كما في مفردات الراغب، والمنهاج الطريقة كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٢). فكانت الشريعة الاسلامية السمحاء الطريق الواضح المستقيم الذي لا عوج فيه وهي الحق الصُّراح الذي لا يُضِلُّ سالكه كما ورد عن نبينا الأعظم ﷺ حيث قال: «جنتكم بالشرعية السهلة السمحاء».

٥ - «وَشُعَاعًا لَا يُظْلَمُ ضَوْؤُهُ» القرآن الكريم كله نور وكله ضوء وكله حق لا مكان للظلمة فيه ولا تعثره العتمة ولا يحجبه شيء، فهو نور ومنور كما قال تعالى في وصفه:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٣).

٦ - «وَفُرْقَانًا لَا يُخَمَدُ بَرْهَانُهُ» والفرقان هو كلام الله تعالى لفرقه بين الحق والباطل

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

وبين الصدق والكذب، وبين الصالح والطالح. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾^(١)، وهو يوم بدر، اليوم الذي فرّق فيه بين الحق والباطل بل به بدأ الفرق بين الحق والباطل بانتصار كلمة الله فكانت العليا واندحار كلمة الكافرين فكانت السفلى، وسيبقى كتاب الله دائماً وأبداً حجة دامغة وبرهاناً ساطعاً على مر الدهور والعصور لأنه القول الفصل والهدى للناس جميعاً: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ﴾^(٢).

٧ - «وَبُيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ» شبه القرآن الكريم هنا بالبنيان المرصوص القوي البناء، المحكم السبك، العظيم القوة، لوثوق الربط بين سوره وآياته، واتصال كلماته ببعضها وترابطها، وجزالة لفظها، وبلاغة مبناها ومعناها أو «تُبَيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ» كما ورد في بعض النسخ ويكون معنى «تُبَيَانًا» هنا، أي بياناً وإيضاحاً وتفسيراً للحق فلهذا تكون شرائعه وأحكامه ثابتة وباقية ببقاء القرآن الكريم. وقال: «لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ» فمن كان بهذه القوة وهذا السبك وهذا الإحكام يصعب أن يناله الهدم والانشقاق، فالكتاب العزيز محفوظ بإذن الله من عوادي الدهر وصروف الزمن وطوارق الحدّثان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣).

٨ - «وَشِفَاءً لَا تُخْشَىٰ أَسْقَامُهُ» ولا ريب في أن القرآن شفاء لكل الأمراض والأسقام. أمراض البدن وعلل الروح. وقد ورد عن آل البيت الأطهار عليهم السلام كثيرٌ من الروايات التي تؤكّد ما نقول. حيث أنّ لآيات خواصاً وميزات في شفاء كثير من الأمراض كما هو ثابت بالتجربة.

.ومن أمثلة هذه الروايات، ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: «من لم

يبرأه الحمد لم يبرأه شيء»^(٤).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) سورة الطارق، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ٨٤٠.

- كما ورد عن أبي الحسن عليه السلام يقول:

«من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج، إن شاء الله، ومن قرأها في دبر كل فريضة لم يضره ذو حمة»^(١).

❖ أما كونه شفاء للأرواح فلما يحتويه ويتضمنه من شتى العلوم وصنوفها ومن مختلف الأحكام وأصولها وفروعها، وهذا ما ينفي غائلة الجهل، فتنتعش به القلوب وتحيا به النفوس. وقد صدق ربنا جلّت قدرته. في قوله في سورة الإسراء: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٢). وقوله كذلك: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^(٣). فهذا الدواء القرآني الناجع لا يبقى مرضاً ولا يخلف سقماً ولا يخشى عليه شيئ من ذلك.

٩- «وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ» وهل هناك عزٌّ أرفع وأعظم من القرآن؟ وانصاره وأهله هم الغالبون وهم المنصورون دائماً وأبداً فلا يُغلبون ولا يقهرون ببركة هذا الكتاب العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٤).

١٠- «وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ» وهو الحق البين الواضح الذي بسببه لا يُهزم أهله وأصحابه والعالمون به والملتزمون بأحكامه وتعاليمه وتشريعاته والعارفون حقه والمدركون لمنهاجه وطريقته، وهم الأعلون دائماً لا يعترتهم الضعف والخور والخذلان، وإن أصابهم شيء من ذلك فلحكمة إلهية ولا ابتلاء يريد الله بهم، من أجل تقويتهم وتحذيرهم وتنبههم، كما يؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْعَلَ لِّلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٥).

١١- «فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ» فهو أي القرآن منبع الايمان ومنبته ومصدره

(١) وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٤٦١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤١.

ومنه تُستخرج كل الجواهر واللآلئ الناصعة النفيسة التي لا يمكن تقدير ثمنها ووصف علو منزلتها وعظمتها وهو بمثابة قطب الرحي للايمان حيث أنه وسطه ومركزه.

١٢ - «وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ» ومنه تتبع العلوم وفنونها بل هو عين العلوم كلها، كعين الماء الفوّارة بالمياه العذبة، فمنه تفيض العلوم كما تفيض العيون الجارية الرقراقة، بل هو كالبحر الذي لا ساحل له لما يحتويه من علوم ومعارف لا عد لها ولا حصر، بل لا قاع لها ولا قعر.

١٣ - «وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَعُدْرَانُهُ» هنا تشبيه جميل للقرآن من حيث احكامه وتكاليفه الشرعية المبنية بشكل محكم على أساس العدل الذي لا يحيد قيد أنملة عن الحق، فاجتماع الرياض النضرة الخلافة مع مجامع الماء التي تتكون من السيول «الغدرة» تضيف للرياض البهيجة صفة جمالية رائعة تأخذ بمجامع القلوب وتهيمن على النفوس وتخلّب الأبواب وتأخذ بالعقول وتحلق بها إلى مراتب السمو والرفعة والرضوان.

١٤ - «وَأَثَافِي الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ» وبالقرآن تتوثق عرى الإسلام وتقوى وتثبت أركانه، ويشد بُنيانه، وبه يبقى الاسلام ثابتاً ومستقراً لا تزعزع العواصف العاتية ولا تُحرّكه الزلازل القاضية.

١٥ - «وَأُودِيَةُ الْحَقِّ وَغِيْطَانُهُ» فكما الأودية والغيطان التي هي الأراضي المنخفضة تزكو بها النباتات فتزدهر وتتمو وتينع وبهذا تكون موضع للماء والكلاء ويستقر عندها الانسان الذي يُنشد الراحة والاستقرار والمتعة، فكذا القرآن هو موضع لطلاب الحق ورؤاد الحقيقة الذين يرومون التزود بالمتاع لليوم الآخر الذي يخسر فيه المبتلون ويفوز به المستعدون للقاء ربهم والمتزودون بزاد التقوى.

١٦ - «وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ» وهل ينقص البحر ويغيض؟! وهل يصبح يباباً؟!

بل وهل ينفد ماؤه؟! مهما أخذ الآخذون واستنزفه المستنزفون، فعلم القرآن لا تنتهي ولا تغيض، بل تفيض ولا تنفد، ففيها علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما هو كائن إلى يوم الدين.

١٧. «وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ» شَبَّهَ ﷺ القرآن بعيون الماء الجارية التي لا تنضب ولا تغيض، بل تفيض مهما أخذ منها النازحون للماء والمستسقون منه.

١٨. «وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ» وكذلك مناهل القرآن «المناهل محل شرب الماء من النهر» فهي لا تنقص مهما شرب منها الذين يردونها فهي باقية تزودهم باستمرار على كثرتهم وورودهم إليها وأخذهم منها.

١٩. «وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ» الذي يريد السير إلى الحق تعالى ويرمي الوصول إليه والقرب منه، فالقرآن هو السبيل الوحيد لسلوك هذا الطريق الواضح النير المستقيم الذي لا يضل سالكه ابداً.

٢٠. «وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمي عَنْهَا السَّائِرُونَ» والقرآن نور مبين كما جاء فيه، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢).

فما دام كذلك فالسائر ميصرون بهذا النور ومستضيئون به، وباقون على الطريق الصحيح والنهج السوي المستقيم الذي لا عوج فيه.

٢١. «وَأَكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ» في هذه الفقرة والتي قبلها استعار ﷺ لفظتي الاعلام، جمع علم «وهي الأمارات والعلامات والأدلة» والآكام وهي المرتفعات، فكما يهتدي السائر في البيداء ويرى أول ما يرى العلامات الواضحة والمرتفعات فيقصدتها ليستقر فيها لعلوها وشرفها ونظافتها، فكذلك هي معرفة القرآن

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

وأحكامه، فهي الدليل للسالكين والسائرين نحو المقام السامي والمكان الشاهق،
والشامخ.

٢٢ - «جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ» العالم الرباني الحق والباحث عن الحقيقة
المُنصف، والمتعمق في معرفة العلوم، لا يرويه ولا يسكن اشتياقه للعلم وحبّه له إلا
القرآن، كلام الله العزيز الذي فيه كل ما يتمنى العالم من شتى صنوف المعرفة،
فهو الماء الزلال الذي يروي ظمأ العلماء وغيلهم ويطفئ به حرارة بحثهم وشوقهم
ونارهم.

٢٣ - «وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ» والفقهاء كذلك لا تبتهج قلوبهم ولا تتعش نفوسهم إلا
بالقرآن، كما تزدهر الأشجار وتتفتح الورود وقت الربيع الزاهر البهيج فيمتلأ
الكون بهاءً وتألّقاً وأريجاً وعطراً.

٢٤ - «وَمَحَاجٍ لِبُطْرِقِ الصُّلَحَاءِ» فالصالحون المخلصون الذين يريدون القرب من الله
تعالى والسير نحو الحق سبحانه، لا يمكن أن يبلغوا هذا المقام الرفيع، والمكان
المنيع إلا بالقرآن الذي يوصلهم إلى ما يريدون بثقة واطمئنان ويقين.

٢٥ - «وَدَوَاءٌ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ» كما أوضح الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في فقرة سابقة حيث قال: وشفاء
لا تخشى اسقامه، أو كما قال رسول الله ﷺ: «القرآن هو الدواء» ولا شك أنّ هذا
الدواء لا يشوبه داءٌ ولا يخالطه سقم، ولا يحتويه مرض، أي مرض.

٢٦ - «وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ» القرآن نورٌ مطلق، لا تشوبه شائبة من عتمة أو
ظلمة، كما قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في فقرة سابقة: في وصفه للقرآن: «نوراً لا تظفأ
مصابيحُه» وفي فقرة أخرى سابقة أيضاً قال: «وشعاعاً لا يظلم ضوءُه».

كما ورد عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال:

«إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى فليجل جالٍ بصره، ويفتح
للضياء نظره فإنّ التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات
بالنور».

٢٧ - «وَحِبْلاً وَثِقاً عُرْوَتُهُ» من يتمسك بالقرآن لا يُخاف عليه من الهلاك، ولا يُخشى

عليه من التزم بأحكامه وأوامره من الغي والضلال فهو الناجي وغيره الهالك.

٢٨ - «وَمَعْقِلاً مَنِعاً ذِرْوَتَهُ» وهو الملجأ الحامي والحصن الواقي لمن يلتجأ إليه ويعيش

تحت ظلاله وينعم بفيوضاته ويستفيد من بيناته. فلا يصيبه مكروه ولا يناله سوء،

فهو في حمى كلام الله العزيز الحكيم.

٢٩ - «وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ» من اتخذ القرآن ولياً لنفسه وأمراً عليه ومطيعاً له في أحكامه

وتعاليمه وأوامره، فهو العزيز بل صاحب العزة والشرف والكرامة في الدنيا

والآخرة.

٣٠ - «وَسَلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ» جعلَ اللهُ تعالى القرآن أمناً وسلاماً لِمَنْ تعمَّقَ في معانيه

وتدبَّرَ في آياته وتفكَّرَ في مكنوناته، وبهذا يكون في مأمن من غضب الله سبحانه

وعذابه.

٣١ - «وَهُدًى لِمَنْ أَتَمَّهُ بِهِ»، لا شك في ذلك ولا ريب، يؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءً^(١)﴾ وقوله سبحانه أيضاً: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا

رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ^(٢)﴾.

٣٢ - «وَعُذْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ» والمراد أن من ادعى أنه من أهل القرآن وخاصته وافتخر

بذلك، وإن لم يكن كذلك، كان القرآن له عذراً لعظم قدره وعلو شرفه وسمو شأنه.

٣٣ - «وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ» وكفى بالقرآن حجةً ودليلاً ووضوحاً وبرهاناً لمن يتكلم به

ويحتج بآياته ويؤيد أقواله به.

٣٤ - «وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ» الشاهد الصدق، والدليل الدامع، والحجة التامة البالغة

لمن يريد أن يحتج ويخاصم ويستدل بأقواله، فعندها تخرس الأفواه وتطمئن

النفوس لحكمه ورأيه وحلّه وعقده.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.

٣٥ - «وَفَلْجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ» أي من خاصم بالقرآن وأحتج به فسوف يكون حليفه الفوز والنجاح والغلبة على أعدائه.

وقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «يا معشر الشيعة، خاصموا بسورة إنا أنزلناه في ليلة القدر تفلجوا، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله ﷺ وإنها لسيدة دينكم وإنها لغاية علمنا...»^(١).

٣٦ - «وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ» والحامل للقرآن هو الحافظ له والعامل به والمتبع لأحكامه والسائر على منهاجه، لا شك أن من يحمل الكتاب العزيز بين جنبه ويعمل به في ليله ونهاره، سيكون القرآن حاملاً له وموصلاً به إلى جنان النعيم ومقام الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»^(٢).

كما ورد عنه أيضاً ﷺ أنه قال:

«حملة القرآن عرفاء أهل الجنة، والمجاهدون في سبيل الله قوادهم، والرُّسُلُ

سادة أهل الجنة»^(٣).

كذلك قال ﷺ:

«إن أحق الناس بالتحشع في السرِّ والعلانية لحامل القرآن، إن أحقَّ الناس في السرِّ والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن، ثمَّ نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، ولا تعزز به فيذلك الله، يا حامل القرآن تزيّن به لله يُزيّنك الله به ولا تزيّن به للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبه ولكنه لا يوحى إليه...»^(٤).

(١) البرهان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤١٩.

(٢) الفقيه، ج ٤، ص ٢٩٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٥٠.

(٤) سنن النبي الأكرم ﷺ، ج ١١، ص ٥١.

كما ورد أيضاً عن رسول الله ﷺ:

«من أعطاه الله القرآن فرأى أن أحداً أعطي شيئاً أفضل مما أعطي فقد صغر عظيمًا وعظم صغيراً»^(١).

٢٧ - «وَمَطِيئَةٌ لِمَنْ أَعْمَلَهُ» أي من حفظ القرآن وعمل به، وتعهده في حياته، ولم يفضل عنه في ليله ونهاره، وفي أحواله كلها، فإنه سيسرع لنيل مطالبه، وبلوغ مقاصده والوصول إلى أهدافه في الدنيا والآخرة، وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال:

«من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة، ودرجة رفيعة في الجنة، فإذا رآها قال: ما أنت ما أحسنك؟ ليتك لي، فتقول: أما تعرفني؟ أنا سورة كذا وكذا، ولو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان»^(٢).

٢٨ - «وَايَةٌ لِمَنْ تَوَسَّمَ» وكتاب الله هو أكبر علامة، وأفضل دلالة للمتدبر المتفكر والمتفكرس لأمر المستقبل كما قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(٣) أي علامات أو أمارات أو دلالات للمتفكرين المتفكرين.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^(٤). وقال أيضاً: «إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم» ثم قرأ الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(٥).

٢٩ - «وَجُنَّةٌ لِمَنْ اسْتَلَامَ» وكلام الله المجيد وقاية ودرع حصين لمن يبحث عن سلاح قاطع ودرع مانع، فتلاوته حصن للدنيا والآخرة.

ففي الآخرة النعيم الخالد والرضوان الأكبر من الله سبحانه ومراتبه للتبیین

(١) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٨٨.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٧٥.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ١٢٣.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ١٢٣.

والصديقين والشهداء والصالحين.

أما في الدنيا فلا حصر لأثاره العظيمة على الانسان آناء الليل واطراف النهار، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«والذي بعث محمداً بالحق وأكرم أهل بيته ما من شيء تطلبونه من حزن من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها أو ضالة أو أبق إلا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليساأني عنه».

قال: فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عما يؤمن من الحرق والغرق فقال عليه السلام: إقرأ هذه الآيات: ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(١) ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٢) ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣) فمن قرأها فقد أمن من الحرق والغرق^(٤)، قال: فقرأها رجل واضطربت النار في بيوت جيرانه وبيته وسطها فلم يصبه شيء...^(٥). وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من بات بأرض قفر فقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾ إلى قوله . تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ حرسه الملائكة وتباعدت عنه الشياطين»^(٦).

٤٠ - «وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى» والقرآن الكريم أفضل العلوم واكملها وأتمها لمن أراد خير الدنيا والآخرة، واستفاد مما فيه، وعمل به وحفظ آياته واستوعبها في وعاء قلبه كما ورد عن رسول الله ﷺ إذ قال:

«لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة إن الله تعالى لا يُعَذِّبُ قلباً وعى القرآن»^(٧).

- (١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.
- (٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
- (٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠.
- (٤) مستدرک سفينة البحار، ج٨.
- (٥) بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٨٢.
- (٦) مستدرک سفينة البحار، ج٨.
- (٧) ميزان الحكمة، ج٨، ص١٩٥.

كما ورد عنه عليه السلام إذ قال:

«إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»^(١).

أي أكملها وأفضلها وأحفظها للعلم والمعرفة.

٤١ - «وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى» بل كلام الله سبحانه أحسن الحديث كما في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبَّهُمْ﴾^(٢).

وكونه أحسن الحديث باعتباره معجزة النبي عليه السلام في الفصاحة والبلاغة وقد

عجز العرب عن الإتيان بأية من مثله ولا يزال هذا التحدي قائماً حتى قيام الساعة.

٤٢ - «وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى» وكفى بالقرآن حاكماً وقاضياً وفاصلاً وفرقاناً فهو كلام الله

الذي لا يزيغ عن الحق قيد أنمله، ومن لم يحكم به فمصير البلاد إلى الخراب

ومصير العباد إلى الفساد.

فهو الحق الأبلج وهو الميزان الأعدل، قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤).

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥).

(١) الأمالي، للمفيد، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

خطبه وكتبه ﷺ

❖ **خطب الإمام ﷺ وكتبه المرسله في المناسبات التي ورد فيها ذكر القرآن بشكل موجز جداً ، وهي تشبه كثيراً في مضامينها ما شرحناه من الخطب فأبقيناه كما هي بدون شرح لوضوحها.**

الخطبة ٢.

من خطبة له ﷺ :

موضوعها: بعد انصرافه من صفين، قال أمير المؤمنين ﷺ في منتصف الخطبة: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ الْمَأْتُورِ، وَالكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ...»

الخطبة ١٧.

ومن كلام له ﷺ :

موضوعه: في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل. يقول أمير المؤمنين ﷺ في المقطع الأخير من الخطبة: «إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعْيشُونَ جُهَالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبُورُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَلَا سَلْعَةٌ أَنْفَقَ بَيْعًا وَلَا أَغْلَى تَمَنَّا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكُرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ.»

الخطبة ١٨ .

ومن كلام له عليه السلام :

موضوعه: في ذم إختلاف العلماء في الفتيا.

قال الإمام عليه السلام في آخر الخطبة:

«وَأَنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلْمَاتُ إِلَّا بِهِ».

الخطبة ٢٦ .

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: يصف فيها العرب قبل البعثة.

قال الإمام عليه السلام في بداية الخطبة: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ».

كتاب ٤٧ .

من وصية له عليه السلام :

موضوعها: الإيحاء للحسن والحسين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.

قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد جملة مهمة من الوصايا العظيمة، موصياً بالقرآن

الكريم.

«وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ».

الخطبة . ٥٠ .

ومن كلام له ﷺ :

موضوعه: وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن.
يقول الإمام ﷺ في بداية الخطبة: «**أِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبِعُ، وَأَحْكَامُ تَبْتَدَعُ يُخَالِفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ.**».

كتاب . ٦٩ .

ومن كتاب له ﷺ :

موضوعه: التمسك بالقرآن إلى الحارث الهمداني
قال الإمام ﷺ في بداية كتابه: «**وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانْتَصِحَهُ وَأَحِلُّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ.**».

كتاب . ٧٧ .

ومن وصية له ﷺ :

موضوعها: الإيحاء لعبد الله بن العباس «**لما بعثه للاحتجاج على الخوارج.**»
قال ﷺ: «**لَا تَخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَالٌ ذُو وُجُوهِ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا.**».

الخطبة .٧٩.

ومن كلام له عليه السلام :

موضوعه: قال لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج فقال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام : «**أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَن سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَن سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ،..**»

الخطبة .٨٦.

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: وفيها بيان صفات الحق جل جلاله، ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة. قال الإمام عليه السلام في المقطع الثاني من الخطبة متحدثاً عن القرآن: «**فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ، فِيمَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوَدَعْتُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً...**».

الخطبة ١٢٥ .

ومن كلامه ﷺ :

موضوعه: في التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكّمين

قال الإمام ﷺ في بداية الخطبة:

«إِنَّا لَمْ نُحْكَمْ الرَّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ. وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ
بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ.
«وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحْكَمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ، لَمْ تَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنِ
كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١)، فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكَمَ بِكِتَابِهِ، وَرُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ
بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهِ».

الخطبة ١٢٧ .

ومن كلام له ﷺ :

موضوعه: وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم

الحكمين.

قال الإمام ﷺ في المقطع الأخير من الخطبة:

«وَإِنَّمَا حُكِمَ الْحَكَمَانِ لِإِحْيَاءِ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ. وَإِحْيَاؤُهُ

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ. فَإِنْ جَرْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا.»

الخطبة ١٣٣.

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: يُعْظِمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَيَذَكَرُ الْقُرْآنَ وَالنَّبِيَّ وَيَعْظُ النَّاسَ.

قال الإمام عليه السلام في شأن القرآن: «وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيًا لِسَانُهُ، وَبَيَّتْ لَا تَهْدِمُ أَرْكَانَهُ، وَعَزٌّ لَا تَهْزِمُ أَعْوَانَهُ.»

وفي المقطع الأخير من الخطبة يذكر الأمير عليه السلام القرآن مرة أخرى ويقول: «كِتَابُ اللَّهِ تَبْصُرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ لَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.»

الخطبة ١٥٠.

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: يَوْمِي فِيهَا إِلَى الْمَلَا حَمٍ وَيَصِفُ فِتْنَةَ مَنْ أَهَلَ الضَّلَالَةَ وَيَشِيرُ إِلَى التَّنْزِيلِ:

يقول عليه السلام :

«ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجَلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبِقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ.»

الخطبة ١٥٢.

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: في صفات الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين والقرآن الحكيم.

كذلك يقول الإمام ﷺ في آخر مقطع من الخطبة:

«اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبِاطِنِ حَكْمٍ. لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ. فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ، لَا تَفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تَكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ. قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَأَرَعَى مَرَعَاهُ فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي، وَكَفَايَةُ الْمُكْتَفِي».

الخطبة ١٦١.

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه وفيها يعظ بالتقوى.

قال ﷺ في بداية الخطبة: «بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُرْهَانَ الْجَلِيَّ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي، وَالْكِتَابَ الْهَادِي»... إلى أن قال ﷺ: «أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَقَمَعَ بِهِ الْبِدْعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ».

الخطبة ١٦٧.

ومن خطبة له عليه السلام :

في أوائل خلافته، قال الإمام عليه السلام في بداية الخطبة: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَأَصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا».

الخطبة ١٦٩.

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة.

يقول الإمام عليه السلام في بداية الخطبة: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بَكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ». إلى أن يقول عليه السلام في آخر الخطبة: «وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ».

الخطبة ١٧٣.

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: في رسول الله ﷺ ومن هو جدير بأن يكون أهلاً للخلافة، وفي هوان الدنيا. قال عليه السلام في المقطع الأخير من الخطبة: «وَأَسْتَمْتُمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ».

الخطبة ١٧٧ .

ومن كلام له ﷺ :

موضوعه: في معنى الحكَميين.

قال الإمام ﷺ في بداية الخطبة: «فَأَجْمَعَ رَأْيِي مَلَنَكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَسْنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْأَعْوَجَاجُ دَابَّهُمَا».

الخطبة ١٨٠ .

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: في ذم العاصين من أصحابه.

قال ﷺ في المقطع الأخير من الخطبة: «وَأَنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ قَدْ دَارَسْتُمْ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُمْ الْحِجَابَ وَعَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ».

الخطبة ١٨٢ .

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: وفيها حمد الله، وبيان صفاته، والارشاد والنصح.

قال ﷺ في المقطع الأخير من الخطبة: «أَوْهَ عَلَيَّ إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيُوا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ».

الخطبة ١٨٣.

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى. قال الإمام عليه السلام في المقطع الثاني من الخطبة واصفاً القرآن الكريم: «فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَا جِرٌ، وَصَامَتْ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَأَرْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ، أَمْ نُورُهُ وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ».

الخطبة ١٩٢.

ومن خطبة له عليه السلام :

موضوعها: تُسمى القاصعة وتتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام.

قال الإمام عليه السلام في المقطع الأخير من الخطبة:

«وَأَنِّي لَمَنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، سِيَمَا هُمْ سِيَمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ، مَتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ».

الخطبة ١٩٣ .

ومن خطبة له ﷺ :

موضوعها: يصف فيها المتقين.

يقول ﷺ في أحد مقاطعها: «أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلوونها ترتيلاً. يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم. فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسمع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم».



خاتمة الكتاب:

هكذا قضينا معاً . أعزاءنا القراء . وقتاً ممتعاً ونحن نتفياً الظلال الوريفة لسيد المتقين وقائد الغرِّ المحجلين الإمام علي عليه السلام وهو يترجم بصدق القرآن الكريم في كلِّ حركاته وسكناته وهمساته، فغدا القرآن الناطق يحق، بكل ما لهذه العبارة من معنى، وقد أوضحنا من خلال رَصَدنا لخطبه عليه السلام وكتبه المرسلة إلى أصحابه وعمَّاله على الولايات الإسلامية، كيف يتعامل مع كتاب الله المجيد، وكيف يصفه بصدق وحق، حتى كأنه قرآن يمشي على الأرض يُكلم الناس، ويحث العباد على التزود ليوم المعاد، وعدم التشبث بالدنيا الفانية والانشداد إلى الملذات المهلكة، التي أهلكت من كان قبلنا، ودمرت أقواماً فخضعوا لها، فكانت عاقبتهم سوء والندم والخسران حيث لا ينفع هناك إلاَّ العمل الصالح الذي به تُنال الرغائب وتمنح الجوائز المُعدَّة لعباد الله الصالحين...

وقد قمنا في هذا الكتاب بعرض الخطب والكتب الخاصة بالقرآن الكريم في نهج البلاغة، ومن ثمَّ شرحها بالكلمة المُعبِّرة والعبارة المُبسَّطة والمفردة الواضحة ليطلع عليها الجميع من مختلف الثقافات وشرائح المجتمع المتنوعة، لنستفيد مما في هذه الخطب من إشارات لطيفة وإيضاحات قرآنية تتناول كلام الله العزيز بأفضل وصف وأجمل تعبير وأخصر عبارة وأوضح إشارة، ولا يمكن لغير هذا الإمام الهمام «**سلام الله عليه**» أن يصف فيُجمل، ويتحدث فيُقل، ويشرح

فيختصر من غير إطالة بلا طائل، وإيجاز بلا إخلال.
وقد أعرضنا عن التفصيل . ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . لكونه ليس محله هنا، إذ نأمل باخلاص أن تتبع هذا الجهد المتواضع، جهود أخرى حثيثة تستجلي وتستكشف الدرر الثمينة، والجواهر النفيسة التي هي بحاجة إلى استكشاف من قبل كل الحريصين على توثيق الصلة بين القرآن الكريم والعترة المُطَهَّرَة.
وعملنا هذا، ما هو إلا خطوة على الطريق اللّاحب، تتبعها خطوات أخرى تُكْمَل الشوط وتقتحم المجهول لتسعد الدنيا ويفرح المؤمنون بنصر الله، ألا أن نصر الله قريب...
وتحدثنا في الجزء الثاني من الكتاب بعرض الخطب المختصرة والقصيرة التي تتعرض لذكر القرآن الكريم وعرضناها كما هي بلا شرح لوضوحها بعض الشيء.

آملين أن يُصار إلى إيضاحها وشرحها في مناسبات لاحقة، وضمن موضوعات مُحدّدة، يدرسها الراغبون في تتبع آثار سيد البلغاء أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لتتفتح لنا آفاق رحبة أخرى لا نهاية لفيضها، ولا نفاذ لعطاءاتها.
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وسلامٌ على المرسلين محمد وآله الطاهرين.

جمعية القرآن الكريم

للتوجيه والإرشاد

الفهرس

الإهداء.....	٥
القرآن الكرم فف القرآن.....	٧
باقه من الأحافف الشرفه للنبل الأكرم ﷺ فف القرآن.....	٩
باقه من أقوال الإمام أمفر المؤمنف فف القرآن.....	١١
باقه من أقوال سفة نساء العالمف الزهراء البتول ؑ فف القرآن.....	١٣
باقه من أقوال الإمام الخمفنف قذرفرف فف القرآن.....	١٥
باقه من أقوال الإمام الخامنئف قذرفرف فف القرآن.....	١٧
مما فف فف به الإمام الخمفنف قذرفرف عن نهج البلاغه:.....	١٨
مما فف فف به الإمام الخامنئف قذرفرف عن نهج البلاغه:.....	١٨
هنا الفف:.....	١٩
الخطبة ١.....	٢١
الشرح.....	٢٢
الخطبة ٩١.....	٢٩
الشرح.....	٣٠
الخطبة ١١٠.....	٣٣
الشرح.....	٣٤
الخطبة ١٤٧.....	٣٧
الشرح.....	٣٩
الخطبة ١٥٦.....	٤٥
الشرح.....	٤٦
الخطبة ١٥٨.....	٤٨
الشرح.....	٤٩
الخطبة ١٧٦.....	٥١
الشرح.....	٥٣
الخطبة ١٩٨.....	٦٠
الشرح.....	٦٢

خطب الإمام عليه السلام وكتبه المُرسلة في المناسبات

٧٣	الخطبة ٢
٧٣	الخطبة ١٧
٧٤	الخطبة ١٨
٧٤	الخطبة ٢٦
٧٤	كتاب ٤٧
٧٥	الخطبة ٥٠
٧٥	كتاب ٦٩
٧٥	كتاب ٧٧
٧٦	الخطبة ٧٩
٧٦	الخطبة ٨٦
٧٧	الخطبة ١٢٥
٧٧	الخطبة ١٢٧
٧٨	الخطبة ١٣٣
٧٨	الخطبة ١٥٠
٧٩	الخطبة ١٥٢
٧٩	الخطبة ١٦١
٨٠	الخطبة ١٦٧
٨٠	الخطبة ١٦٩
٨٠	الخطبة ١٧٣
٨١	الخطبة ١٧٧
٨١	الخطبة ١٨٠
٨١	الخطبة ١٨٢
٨٢	الخطبة ١٨٣
٨٢	الخطبة ١٩٢
٨٣	الخطبة ١٩٣
٨٥	خاتمة الكتاب:
٨٧	الفهرس